الحسين بن علي

ريحانة المصطفى فى قلب المأساة الرهيبة

دكتور / محمود عبد الفتاح شرف الدين
مدرس التاريخ الاسلامى والحضارة بالكلية

ذرية بعضها من بعض :

سبط الرسول وريحانته الممدودة الوصال بجنات الرضوان والتى ما أن يسترجع المسلم تاريخها العاطر على مائدة البحث العلمى حتى ينشر عبيرها فى آفاق الوجود ممزوجة العبرات بالعبر • وينطبق من بين سكون الدهر آيات الصور التى تفيض بالمكرمات والنفحات التى تدعو الى مكارم الأخلاق وموروثات الفضائل والشمائل الباقية على صفحات الحياة مبلورة تاريخ الاسلام المشرق بتعاليم خير البشر محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى أثرت فى مكونات المجتمعات المثالية • نبلا وعزة وعفافا ونضالا • وستظل هذه التعاليم أمل الكمال الانسانى المنشود والى يوم الدين •

هو خامس أهل الكساء الحسين بن على بن أبى طالب وأمه فاطمة الزهراء سيدة النساء فاطمة بنت أشرف خلق الله على وجه البسيطة • وأصغر بناته جميعا • وقد ولدت والبيت الحرام يعمر أهل مكة أركانه من تصدع الغيث الذى أصاب المدينة العتيقة قبل البعثة النبوية التى أشرق نورها على العالمين •

وفى أوائل المحرم سنة اثنين من الهجرة تزوجت فاطمة بعلى بن أبى طالب ذلك البطل المغوار والفارس الذى لا يبارى والمشهود له

بالكفاية القتالية النادرة الزاهد العابد والذى شهد فجر الدعوة المحمدية فى منزل الوحى صبيا يؤدى العبادات ويعقل الارهاصات والمعجزات التى أحاطت بالبشير النذير فيزداد يقينا وينمو الايمان فى أجواء نفسه الصافية التى لم يكدرها عبث الجاهلية الأولى •

وهكذا نسل الحسين من أبوين كريمين نبعه عتق ومعدن صدق •

نبت فى أكرم البيوتات وأشرف المنابت والسلالات • ولد حفيد المصطفى الثانى بالمدينة المنورة بعد الهجرة بأربع سنين فى خمس خلون من شهر شعبان • سماه النبى — صلى الله عليه وسلم — الحسين بعد أن جاءت به أمه الى بيت النبوة هاشة قريرة العين • فأسلمته الى جده الحبيب فاستبشر به وسماه بهذا الاسم الذى لم يكن لأحد قبله تحت سماء هذه الجزيرة العربية • وكان والده على قد سماه حربا • وعن أنس — رضى الله عنه — قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى أهل بيتك أحب اليك قال الحسن والحسين » •

وقال عبد الله بن الحر الجعفى : « ما رأيت أحدا قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين » •

وكان المبعوث رحمة للعالمين يقول للزهراء « ادعى لى ابنى فيشمهما ويضمهما اليه ولا يبرح حتى يضحكهما ويتركهما ضاحكين » •

وعن أسامة بن زيد عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال فى السبطين الكريمين الحسن والحسين وهما على ركبتيه هذان ابناى وابنا ابنتى « اللهم انك تعلم أنى أحبهما وأحب من يحبهما » بل كان الرسول يفرط فى حب الحسين فروى عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال «حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا» ومن أصدق

ما نقل عن بره بهذا الحفيد ومضاعفة اشفاقه عليه وحـــدبه به ما رواه شداد بن عبد الله من أن الحسن والحسين كانا يصطرعان بين يديه وهو يقول « هى حسن » فقالت فاطمة لم تقول هى حسن ؟ فقال المصطفى لأن جبريل يقول هى حسين » •

شب هذا السبط النبيل فى تلك البيئة الطيبة التى أذهب الله عنهـا الرجس وذكاها بروحانية الاسلام الى يوم الحساب • فلوحظ فيه وفرة الايمان وايثار الخير والآداب العالية والجنوح الى البـذل ، والشجاعة والعطف على المساكين ومصادقة أرباب البيان والفروسية من أقرانه كما نمتع بالعديد من انخصال الرفيعة التى تزين الرجال وتطبع النفوس على جلائل الأعمال • فيزداد المرء حسنا ووضاءة واشراقا • فقـــد تربى الحسين فى كنف الهداية المحوطة بالوحدانية ونور اليقين وجبريل الأمين يأتى بأخبار السماء بقول لا يأتيـــه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه تنزيل من حكيم حميد •

وقد تطلعت نفسه الوثابة على الفروسية ومنازلة الخصوم ولم لا ؟ فهو ابن على ــ كرم الله وجهه ــ قاهر الأعداء والمحارب الهمام والمجالد الشجاع والذى لا يجارى فى حومات الميدان • والشىء من معـــدنه لا يســتغرب •

فاكتحلت عين الحسين على أعظم المشاهد الاسلامية وتعطرت أرجاء روحه الصافية الفياضة بالايمان • بأخبار الظفر والانتصارات العسكرية ــ فى الغزوات والفتـــوحات والملاحم التى تســبقها رايات الفخار والاعتزاز ــ المسجلة فى صفحات الزمن بأشرق العبارات وأنصع الصور التى تعلو بها الهامات فى باب التشريف والمفاخرات •

نشأ الحسين فى بيت النبوة المطهر وتفتحت أكمامه على نور الايمان والهداية فأخذت أذنه تلتقط الأحاديث العطرة والكلمات العذبة التى يربى بها معلم الأنسانية ـ صلى الله عليه وسلم ـ صحابته الغر الميامين رضى الله عنهم أجمعين : فرأى هذا الحفيد بداية المثالية التى وضحت معالمها فى يثرب المدينة لتكون ميراثا خصبيا لكل أجيال مقبلة والى أن يرث الله الأرض والسماوات • فأخذ الحسين يحفظ القرآن ويؤدى العبادات كالصلاة والصوم ويظهر الخشوع والخضوع لله الواحد الأحد كما كان يحضر مجالس العلم على أعلام الصحابة ونجباء الشعراء حتى وعت ذاكرته ألوانا من العلوم والآداب التى أخذها عن أبى عبد الرحمن السلمى الضرير مقرىء الكوفة فضلا عن الأعلام الأقطاب : عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وأبى هريرة وأبى ذر الغفارى وغيرهم •

قال عنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « انه كان يغر العلم غرا فكان أفضل زمانه فى العلم والمعرفة بالكتاب والسنة » فكان خليق بهذه الملتقيات الراقية فى الآداب العالية أن تشكل شخصية الحسين الخطابية القائمة على البيان والفصاحة والموهبة الصائبة التى صاحبها طلاقة فى اللسان حيث تتفجر ينابيع الحكمة فيما يلقيه على سامعيه فتنجذب اليه القلوب والأرواح بعد أن ملئتا بخلابة المنطق وفصل الخاطب •

وكان مجلسه العلمى بعد أن انضم الى مصاف العلماء بالمسجد النبوى الشريف يغص بالمنتفعين بعلمه وفضله وايثار ملازمة اجتهاداته الفقهية والكلامية والأدبية يستمعون لدروسه وبراهين معانيه يغترفون من بحره الغواص ويضبطون ما يأخذون من فرائد وحكم وأحاديث وعقائد وأسانيد • فتعم الفائدة فى حلقته التى يحوطها الوقار والخشوع

والسكون الا من صوته الندى الذى يشق حجب المكان بغـزير العلوم ومفترق الفنون وملتقى الآثار والآداب •

وقد سئل الحسين فقيل له كيف أصبحت يا ابن رسول الله ؟ قال أصبحت ولى رب فوقى والنار أمامى والموت يطلبنى والحساب محدق بى وأنا مرتهن بعملى ولا أجد ما أحب ولا أدفع ما أكره والأمور بيد غيرى فان شاء عفا عنى • فأى فقير أفقر منى (١) •

كما تفتقت أزاهير حياته الخصبية • ألوانا من الآداب الرائقـة والمعانى السامية والحكم البالغة التى هى فى الحق آية من نبراس اهتدى به من مدرسة جده المصطفى الهادى وما ورثه من فصاحة وفطانة وابانة من منطق والده صاحب نهج البلاغة الامام الفارس الهمام • فمن تلك الحكم والعظات التى نقلتها أسفار الآداب بين طيات العبر وتنسب على التحقيق والتأكيد الى ريحانة المصطفى • الحسين بن على • قوله « شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخـل عن الاعطاء » •

ومن أشهر أقواله « ما أخذ الله طاقة أحد الا وضع عنه طاعته ولا أخذ قدرته الا وضع عنده كلفته » •

وهو القائل « ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عباده التجار وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عباده العبيد وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عباده الأحرار وهى أفضل العبادة » •

وقال رجل فى مجلسه بالمدينة « ان المعروف اذا أسدى الى غـير

---

(١) الشيبانى • تيسير الوصول ص ٣٧٥ •

أهله ضاع فقال الحسين ليس كذلك ولكن تكون الضيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر » (١) •

من هم سجاياه :

كان الحسين ربيب بيت النبوة من أعظم الناس خلقـــا جمعت فى سجاياه التى حباه المولى اياها خلال الفتوة والنجدة والعز والعـــزم الشديد • بل كان أبى الضيم متواضع النفس لا يألف الكبرياء لا يحدوه حادى الخيلاء التى ليست من شأنه • وهو مع هذا مقدام جرىء أريحى الطبـــاع شديد المرارة • ضرب المثل الأعلى فى الأنفة ودفع الظلم مهما كانت مرتبة الظالم فى عيون المجتمع الذى هو واحـــد فيه • واكبـــر مثل على ذلك حينما واجه معاوية بن أبى سفيان الخليفة الأموى المحوط بالصولجان والهيل والهيلمان • لم تمنع جبروت السلطة • الحسين من اعلان كلمة الحق التى سجلت على أطراف الزمن « أنا أهـــل النبـــوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم • ويزيد — ولى العهد المرتقب — مستهتر فاسق ومثلى لايبايع مثله !!

كما قال لوالى المدينة مروان بن الحكم « وعلى الاسلام السلام اذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد » •

ومن دلائل كرمه الموروث وسخائه المطبوع ما نقلته أسفار التراث الباقية • أن رجلا من أحياء المدينة جاءه يريد أن يسأله حاجة فقـــال الحسين يا أخا الأنصار صن وجهك عن ذلة المسألة وارفع الى حاجتـــك فى رقعة فانى آت فيها ما هو سارك ان شاء الله تعالى فكتب فى قصـــته المرفوعة يا أبا عبد الله ان لفلان على خمسمائة دينار وقد ألح بى فكلمه

---

(١) ابن عبد ربه العقد الفريد جـ٢ ص ١١٥ •

فى أن ينظرنى الى ميسرة • فلما قرأ الحسين تلك الرقعة المستوفية المدلول • دخل الى بيته فأخرج من خزانته الخاصة صره فيها ألف دينار ذهبى وقال له وهو يدفعها اليه ، أما خمسمائة فاقضى بها دينك • أما الخمسمائة الأخرى • فاستعن بها على دهرك • ولا ترفع حاجتك بعد اليوم الا الى ثلاثة • الى ذى دين أو مروءة أو حسب • أما ذو الدين فيصون دينه وأما ذو المروءة فانه يستحى لمروءته واما ذو الحسب فتعلم انك لم تكرم وجهك أن تبذله فى حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بعد قضاء حاجتك (١) •

قال الصحابى الجليل أنس — رضى الله عنه — كنت عند الحسين• فدخلت عليه جارية من جواريه بيدها طاقة ريحان فحيته بها فقال لها مستبشرا أنت حرة لوجه الله تعالى •

فقلت له جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها • فقال كذا أدبنا الله عز وجل فقال تبارك وتعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » • وكان أحسن منها عتقها (٢) •

أما عن شجاعته فهو الفارس المجلى والبطل المقدام والليث الجسور • تجده فى الحروب أكثر المقاتلين صمودا وأربطهم جأشا وأصدقهم عزيمة وأقدمهم الى لقاء الخصوم • فقد ساهم بطلنا الشجاع فى ملاحم الاسلام المظفرة وفتوحاته الموفقة خارج الجزيرة العربية وذلك عندما شب عن الطوق وأحسن المبارزة وأحكم الضربات • وعلمنا المجالد لا تنقصه بالقطع الدربه والمران الحربى فقد كبر ورنين السلاح

---

(١) السهيلى الروض الانف ص ٨٧ •
(٢) المرجع السابق ص ٨٨ •

يطرق آذنه ومتار نقع معارك الاسلام تعلق بأثواب والده على بن أبى طالب وكل من كان فى البيت فلم يحجم هذا السبط التعالى عن المسارعه فى الانضواء تحت ألوية القتال عندما ينادى داعى الجهاد بالتحـــرك والنزال لفتح طبرستان فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان • وكان فى طليعة هذا الجيش المتاهب الكثيف العدد الأكمل عـــدة بقيادة البطـل سعيد بن العاص • وقد أيدهم الله بنصر من عنده فى معاركهم ومغانم كثيرة حققوها • ولمـا حاصر الثوار عثمان فى داره بالمدينة وأحجم عن الدفاع الكثيرون فى تلك الفتنة المستشرية المندلعة اللهيب وقف الحسـين مـع أخيه الحسن على باب الخليفة يدفعان عنه العدوان ويحاولان اخماد ذلك الشرر المتطاير • ولكن ارادة الله كانت أسبق من كل محاولة وفوق تكثيف الجهد وتضاعف القوى المدافعة • حيث تسلق المعتدون الآثمون الجدار الخلفى واغتالوا الخليفة ذا النورين عثمان • ولمـا انتقلت الخلافة الى الاما م على كرم الله وجهه جعل الكوفة قصبة الحكم الاسلامى وامتدت الصراعات السياسية والعسكرية فى هذا العهد • كان الحسين فى مقدمة القواد الذين استعان بهم الخليفة لمحاربة خصومه • فبرز علمنا كبطـــل مغوار فى تلك المعارك الحامية الوطيس فيما يعرف على صفحات التاريخ باسم الفتنة الكبرى • فقاتل بجوار أبيه فى مواقعه الحاسمة الشـهيرة كالجمل وصفين والنهروان وغيرهم وأبلى الحسين فيها البلاء الحسن • وفجأة وفى وسط أتون تلك المعارك دبرت خطة ماكرة نسجت خيـــوطها أصابع التآمر تحت جنح الظلام انتهت الى سقوط الامام الزاهد عـلى شهيدا • ثم أخذت البيعة من بعده لابنه الحسن ، وكان الحسين فى مقدمة من بايعه وأيده وشد من عزمه كما كان عونا له ضد أعدائه وخصـــومه السياسيين •

ولمـا سلم الحسن أمر خلافة المسلمين الى معاوية بن أبى سفيان

وصالحه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤١ هـ وبايع الجم الغفير معاوية وأطلق على هذا العام « عام الجماعة » لاتحاد كلمة المسلمين تحت راية واحدة فى ظلال الاسلام • وآثر الحسن العافية وجانب السلم على الاشتجار الى السلاح • نهره الحسين على هذه الخطوة التاريخية• لفلسفة ارتآها هذا السبط الكريم حيث قال لأخيه الأكبر • أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية وتصدق أحدوثة أبيك • فقال الحسن أسكت أنا أعلم بهدا الأمر منك •

ثم قال الحسن فيما بعد عارضا وجهة نظره • قد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت الأرحام وعطلت الثغور • فقال له الحسين مرة أخرى أعيذك بالله ان تكذب عليا فى قبره وتصدق معاوية • فقال الحسن والله ما أردت أمرا الا خالفتنى الى غيره • والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك — أسده بالطين — حتى أقضى أمرى • فلما رأى الحسين غضبه الحسن وثورته سكت على مضض وهدأه بقوله أنت أكبر أولاد على وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدا لك •

وهكذا نجد هذا السبط العظيم يقف الى جوار أخيه مناصرا يشد من عزيمته عندما يجد أنه فى حاجة الى جهده وجهاده وثباته وقفاته • ويؤثر الطاعة والسكوت • بل السكون ومغالبة النفس عندما تتغلب المصلحة العامة المقتضية الى ذلك ولا سبيل الى غيرها فيفعل •

وهذا مثل كريم يضربه الحسين فى التآذر والتراحم على السراء والضراء فى لين الحياة وحين البأس •

ولما مات الحسن بالسم الذى دسته احدى زوجاته اليه • وأخرجوا جنازته وأراد مروان بن الحكم والى المدينة والذى كان يتتبعه

بالقهر والقسر وفق سياسة مرسومة بدقة بقصر الخلافة بدمشق — أن يحمل نعشه فقال له الحسين تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ • فقا لمروان نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه هـذا وأشار الى الجبل •

مقـدمات المـأساة !

كان الحسين قد آثر العزلة والابتعاد عن السياسة وذلك طيلة عهد معاوية حيث بر بوعده معه ووفى بما عاهده عليه فلم يخرج على هـذا الخليفة الأموى الذى قدم اليه يد المسالمة والموادعة وظل عـلى ذلك ماضيا فى الصدق الذى درج عليه على الرغم من تأليب شـيعة العراق الذين كاتبوه وحرضوه على خلع طاعة معاوية فامتنع عليهم وتأبى وذكر أن بينه وبين الخليفة الموجود عهدا وعقدا لا يجوز لمن تربى على الشرف وسمو النفس أن ينقضه • ولمـا مات الخليفة الأموى الأول وخلفه ابنه يزيد دعى الناس الى مبايعته •

كان الحسين ممن لم يبايع له فاتصل به أهل الكوفة وبايعوه على السمع والطاعة مكان أخيه الحسن بعد وفاته • فأقام الحسـين على ما هو عليه من الهموم مرة يريد أن يسير اليهم ثم يفـكر فى اسـتجماع قواه وترتيب أمره ومصير الموقف كله فيعود فيأبى ويثبت ويجمع على الاقامة بالمدينة •

وأثناء ذلك جاءه أبا سعيد الخدرى — رضى الله عنه — فقال يا أبا عبد الله انى لكم ناصح وانى عليكم مشفق وقد بلغنى أنه كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفةيد عونك الى الخروج اليهم فلا تخرج فانى سمعت أباك

يقول عن أهل تلك البلدة والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني ومن فاز منهم فاز بالسهم الأخيب والله ما لهم ثبات على أمر ولا صبر على السيف (١) .

وأرسل يزيد الى عامله على المدينة الوليد بن عتبه ليأخذ له البيعة من كبار الصحابة فى الحجاز مثل الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله الزبير . رضى الله عنهم . فامتنع ابن الزبير عن المبايعة وفر الى مكة . أما ابن عمر فيرى الوالى أنه لا يجنح الى قتال أو منابذة ولا يحب أن يولى هو على الناس الا أن يدفع اليه هذا الأمر عفوا فتركه.

أما الحسين فقد دخل على الوليد الذى قرأ له كتاب الخليفة الجديد يزيد بخصوص البيعة له بعد وفاة معاوية .

قال الحسين : « انا لله وانا اليه راجعون ورحم الله معاوية » . أما البيعة فان مثلى لا يعطى بيعته سرا ولا أراك تقنع بها منى سرا دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية » .

قال أجل وكان الوليد يحب العافية فطلب من الحسين أن ينصرف على اسم الله حتى يأتيه مرة أخرى مع جماعة الناس فخرج سبط الرسول باشارة من هذا الوالى المسالم الذى خشى أن يحاسب بدم الحسين . وسط الحاح مروان بن الحكم بالقبض عليه حتى يتم البيعة لخليفتهم قسرا . وقال « والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لاقدرت على مثلها أبدا . حتى تكثر القتلى بينكم وبينه » .

ثم سار الحسين الى مكة واستقر بها مدة حتى كان أهلها يختلفون

---

(١) ابن قتيبه . عيون المعارف ص ٢١٥ .

اليه يأتونه هم ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق وجاءته رسائل أهل الكوفه التى منها « انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق » وتوالت الكتب على مجلس الحسين الى جوار الكعبة ولبث فمكة على هذه الحال أربعة أشهر، وكان الحسين قد أرسل الى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل فور تلقيه الرسائل من زعمائها ليتبين حقيقة الأمر هناك فذهب اثنا عشر ألفا وبايعوه على النصر فاغتر بما شاهده منهم، وأرسلوا الى الحسين يستحثونه على القدوم الى الكوفة . وللأسف لم يعتبر الحسين بما فعله أهل تلك البلدة مع أبيه وأخيه من قبل . ولكنه نوى الخروج الى تلك المدينة الثائرة على الأوضاع الأموية ومعه جماعة فيهم نساؤه وبعض أقربائه وأنصاره .

وقبل أن يرحل سبط الرسول نصح له عبد الرحمن بن الحارث . وعبد الله بن العباس فى أن يعدل عن الذهاب الى الكوفة وأن يسير الى اليمن . وقد قيل أن الحسين كان يعرف ما يحدق به من خطر اذا بقى فى مكة لأن بنى أمية سوف يتعقبونه حتى يقتلوه فى الحجاز ولما رأى ابن العباس اصرار الحسين قال له « انهم انما ادعوك الى القتال والحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخافوك ويخذلوك . وان يستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك وان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه » (١) .

ولقد لقى أيضا الشاعر الفرزدق الذى كان هواه مع أهل البيت وحينما سأله الحسين عن الأحوال فى العراق بعد أن استبطأ قدوم ابن

---

(١) ابن طباطبا . الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٠٧ .

عمه مسلم بن عقيل فقال الفرزدق قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية عليك • كما كتب اليه المسور بن مخرمه اياك أن تغتر بكتب أهـــل العراق » •

وكان يزيد بن معاوية قد عزل النعمان بن بشير والى الكوفة بعد أن بدا منه الميل لآل البيت • وقد ظهر ذلك جليا عندما جرت مناقشـــة مستفيضة مع أحد أنصار الخلافة الأموية وفى نهايتها قال للوالى النعمان « انك رجل ضعيف أو مستضعف قد فسد البلد » فقال له النعمان « لأن أكون ضعيفا فى طاعة الله أحب الى من أن أكون قويا فى معصـــيته ما كنت لأهتك سترا ستره الله » •

ثم ولت الخلافة بعد عزل النعمان فى نفس المكان وارث الجبـــروت والشنآن عبيد الله بن زياد • وأقام هـــذا الوالى الفظ الغليظ القلب الارصاد وبث العيون على جميع الطرق المؤدية الى العراق • وكان ذلك بتخطيط محكم من الخليفة الأموى القابع بدمشق الذى ألح من قبل على والى المدينة الوليد بن عقبه ليأخذ له البيعة من السبط الكريم الحسين• ولكنه كما أبنا سلفا رفض اتمام ذلك الأمر الذى أرق يزيد وجعل يضيق عليه الخناق ويحكم السبل حتى لا يتصل للحسين بأهل العراق المعادين دائما لأهل الشام الذين يمثلهم فى الحكم الاسلامى بنو أميـــة ولـــكن خرج صوب الكوفة هذا فى الوقت الذى كانت فيه سيوف عبيد الله بن زياد تفرق فى جماعات الشيعة التى التفت حو لمسلم بن عقيل الصادق الوفى لابن عمه السبط المقدام ورماهم الطاغية ابن زياد بالشـــدة والجبروت وسامهم سوء العذاب على الرغم من وصول كتاب الحسين اليهم بتحركه تجاه الكوفة والتى جاء فى مضمونه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. من حسين بن على الى الملأ من المؤمنين والمسلمين .. أما بعد فان هانئا وسعيدا قدما على بكتبكم (١) وكان آخر من قدم على رسلكم ، وقد فهمت كل الذى أقصصتم وذكرتم ومقالة جلكم أنه ليس علينا امام . فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وحق وقد بعثت اليكم أخى وابن عمى ــ مسلم بن عقيل ــ وثقتى من أهل بيتى وأمرته أن يكتب الى بحالكم وأمركم ورأيكم فان كتب الى انه قد جمع رأى ملتكم وذوى الفضل والحجا منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأت فى كتبكم أقدم عليكم وشيكا ان شاء الله والسلام » (٢) .

ولكن أهل الكوفة عندما اشتد عليهم أمر الطاغية الشيطان ابن زياد تفرقوا عن مسلم بعد تجمع وتشتت شملهم فى الأنحاء بعد أن خرج منهم جيشا يستطيع أن يهز كيان الخليفة الضعيف الفاسق . ولكن كان هذا حال أبناء هذه المدينة . ولم يلبث ابن عقيل بعدما رأى وشاهد هذا التغير والتبدل الغريب فى الموقف كله ــ أن استجار بهانىء بن عروة واحد من زعماد الكوفة ــ طالبا الحماية . وأسرع ابن زيادة طاغية العراق يصر فى الحاح ليمثل مسلم بين يديه فى دار الامارة . ولكن هانئا رفض ذلك » .

وذكر الوالى بأن أبن عقيل تمت حمايته وقت هذه الشدة الا أن الطاغية بعث بجنوده الأقوياء الذين كبلوا هانئا بالأصفاد ولقوا القبض عليه ووضع فى سجن بمنطقة الكناسة حيث قتل هناك وصلب (٣) .

---

(١) هانىء السبعى وسعيد بن عبد الله الحنفى من اشراف الكوفة .

(٢) مهدى الحايرى معالى السبطين ص ٩٨ .

(٣) الطبرى . تاريخ الامم حـ ٤ ص ٢٦٠ .

ووصلت تلك الأحداث الدامية الى مسلم بن عقيل فخرج للانتقام ممن غدر بصديقه هانئ والثار له وانضم اليه حوالى ثلاثين الف مقاتل من أنحاء الكوفة والأطراف وتقدم بهذا الجمع الحاشد الى أن حاصر به قصر زعيم الجبابرة — ابن زياد — والذى ما ان استشعر الخطر يدحق به حتى أعمل الحيلة حيث لوح لجماعة الكوفة بالمكافأة ان هم تفرقوا عن مسلم ومناهم بالخيرات الحسان من أعلى القصر • فألبهم على القائد القرشى الهاشمى ونجح فى ذلك حتى تضاءلت آلاف الثلاثين فأصبحت فئة قليلة لا تتعدى الثلاثين رجلا فقط • وهؤلاء النفر أيضا قد لعبت أصابع الخيانة بينهم فى الظلام •وما أن انصرف ابن عقيل من صلاة العشاء بالمسجد الجامع من يوم العاشر من ذى القعدة سنة ٦٠ هـ حتى وجد نفسه وحيدا لا تنفعه شجاعته وسجله الحافل فى الأمجاد الحربية الاسلامية التى خاضها فى ميادين الفتوحات » •

والتجأ الى بيت قريب من المسجد وعرف ابن زياد مخبأه بعد أن بعث وراءه العيون المتابعة فألقى القبض عليه وجىء به الى قصر الامارة بالكوفة • فكان حكم الجلاد الذى ماتت مشاعره أن يرمى مسلم بن عقيل من أعلى القصر وقام جنده بهذا الفعل الشنيع فمات مسلم شهيدا لساعته ثم أمر ابن زياد فصلبه على أعواد بالقرب من قصره فكان أول شهيد تصلب جثته من بنى هاشم (١) •

يقول الفرزدق ناعيا فقد الشهيدين الكريمين هانئ بن عرفه ومسلم ابن عقيل :

---

(١) المسعودى ،روج الذهب - ٣ ص ٧ •

إذا كنت لا تدرى ما الموت فانظرى
الى هانى فى السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوى غى طمار قتيل
أصابهما ريب الزمان فأصبحا
أحاديث من يسرى بكل سبيل

لم يلتفت الحسين بن على الى نصح الناصحين فسار الى الكوفه على رأس فئة قليلة لم يتجاوز عددها ثمانين رجلا فقط ولم يكن قد علم بمقتل ابن عمه مسلم بن عقيل بهذه الصورة الشنيعة وخذلان أهل الكوفة له وقت الشدة • ولما أصبح الحسين على مقربة من أرض العراق لقيه رجلان من بنى أسد وقالا له ارجع فانا لن ندع لك خلفنا خيرا ترجوه • وأخبراه بمقتل مسلم وهانى بن عروة وأشارا اليه بالعودة من حيث أتى ويؤثر السلامة بمن معه من آل بيته • فنزل الحسين على رأيهما • وهم بالفعل ليرجع غير أن أشقاء مسلم الذين غلت الدماء فى عروقهم صمموا على أن يأخذوا بثأر أخيهم • أو يقتلوا هم دونه : فقال الحسين بعد أن رأى هذا التصميم « لا خير فى العيش بعد هؤلاء فقال له بعض أصحابه : انك والله ما أنت مسلم مسلم بن عقيل • ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك أسرع (٢) •

الحسين فى وسط المأساة الرهيبة :

لما علم عبيد الله بن زياد بقرب الحسين من مدينة الكوفة أرسل كتيبة من أربعة آلاف مقاتل عليهم الحصين بن نمير وأمره أن ينزل

(٦) المرجع نفسه ص ٩

القادسية وذلك فى أواخر ذى الحجة سنة ٦٠ هـ كما أمر والى العراق أيضا قائده عمر بن سعد بن أبى وقاص — ابن فاتح العراق — بالمسير الى الحسين على رأس جيش تام العدة وتحت قيادته سبعة آلاف من الجنود حتى نزل كربلاء (١) ، ثم انضم الى هذا الجيش الحر بن زيد ونزلوا بالقرب من معسكر الحسين • وبعثوا يسألون السبط الكريم عما جاء به فقال الحسين « كتب الى أهل مصركم هذا ان أقدم عليهم • فاما اذا كرهونى فانى أنصرف عنكم الى مكة » ولكن عمر بن الوقاص لم يتعجل قتال الحسين وجماعته التى لا تزيد على مائتى نفس مما جعل الوالى الجلاد يعنفه ويبعث اليه برسالة قاسية المضمون محتواها « من عبيد الله بن زياد الى عمر بن سعد • أما بعد فانى لم أبعثك الى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل حسين وأصحابه على أحكم واستسلموا ما بعث بهم الى سلما وان أبو فازحف اليهم حتى تقتلهم فانهم لذلك مستحقون • وان قتل الحسين فاوطىء الخيل صدره وظهره فانه عاق مشاق قاطع ظلوم فان أنت مضيت لامرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وان أنت أبيت فاعتزل عملنا وجندنا • وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرنا بأمرنا (٢) •

وملخص هذا الموقف عرض شروط الاستسلام على الحسين وجنده نظير النزول على حكم الخليفة يزيد بن معاوية • فان قتلوا فليبعث بهم القائد اليه سالمين وافرين وان هم أبو فليقاتلهم • ولكن الحسين عندما عرض عليه ابن سعد هذه الشروط المهينة رفض الاستسلام • ولم يبق

---

(١) على مسيرة خمسة وعشرين ميلا الى الشمال الغربى من الكوفة •
(٢) الطبرى تاريخ الامم جـ ٤ ص ٣١٤ •

أمامه سوي الحرب فقد صحت عزيمته لذلك من قبل بدليل أنه صحب معه نساء بيته وأطفاله فوجد ان قربهم منه يحفزه على الاقدام والنضال ويدفع به الى الاستماتة والاستبسال وتبث فيه روح الجرأة والشجاعة المكثفة • وان لم يظفر الحسين بأعدائه ويوقع بهم فلسوف يقتلونه اذ هو يعلم علم اليقين قبح طويه يزيد وشر مسعى ابن زياد واسفاف نحيزتهما وسوء سيرتهما وغلظ قلب صنيعه بنى أمية الموتور عبيد الله الوالى على تلك البلاد •

• ثم وقف الحسين بين جنده الذين تبعوه وخطب فيهم قائلا « أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله — ص — يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وانا أحق من غيرى • وقد أتتنى كتبكم وقدمت على رسلكم ببيعتكم انكم لا تسلمونى ولا نخذلونى فان تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم وانا الحسين بن على وابن فاطمة بنت رسول الله — ص— نفسى مع أنفسكم وأهلى مع أهليكم ولكم فى أسوة • وان لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتى من أعناقكم فلعمرى ما هى لكم بنكر لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم والمغرور من اغتر بكم فظلم أخطأتم ونصيبكم ضيعتكم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغنى الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) •

---

(١) حبيب ال الظاهر • الحقائق ص ٢٧ •

وقبل المواجهة الحاسمة رأى الحسين انسيال العديد من أهل الكوفة وبدأوا يتفرقون عنه سراعا فأخذ يؤنبهم ويعلمهم بانه لا حاجة له بهم ويكفيه فى حربه القادمة اله وذويه فقط « فانى لا أعلم اصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابى ولا بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتى فجزاكم الله جميعا خيرا لقد بررتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيرى أحدا وانى لا أظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا وانى قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا فى حل ليس عليكم منى ذمام هذا الليل قد غشيكم فتفرقوا فى سواده وانجوا بأنفسكم (١) .

وقد جددت أسرة سبط الرسول العهد له واعتصموا بحبل يؤمهم الى التماسك والاتحاد لقتال الأعداء الذين تمالؤا لقتاله وأعلنوا انهم سيفدونه بأنفسهم وأموالهم وأهليهم ويقاتلون معه حتى يردون مورده وقالوا لم نفعل هذا لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبدا كما ثبت معه نفر من آهل الكوفة . فمن بقى على وفائه وشرف الكلمة التى أخذها على نفسه فى مقدمتهم مسلمة بن غوسجة الاسدى الذى جاهر بالكلمة الصريحة فقال نائبا غى فئته القليلة « أنحن نتخلى عنك ولم نعذر الى الله فى أداء حقك انا والله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ما ثبتت قائمة فى يدى ولو لم يكن معى سلاحى لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت دونك (٢) .

وقبل معركة كربلاء لم يشأ الحسين أن يبدأ خصومه بالقتال أو يفاجئهم بنزاله على الرغم من قلة عددهم فى البداية وأراد أحد جنوده

---

(١) ابن الاثير الكامل حـ ٤ ص ٢٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٥ .

« زهير بن القين » أن ينتهز الفرصة وقال له يا ابن رسول الله ان قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدى فلعمرى ليأتينا من بعد من نرى ما لا عين لنا به « فقال له الحسين » ما كنت لابداهم القتال « حما لم يتحرك الحسين صاحب الخلق الرفيع والذى تربى فى عرين الفروسية والنضال والكفاح لهذا الاستفزاز الرخيص الذى قاده « شمر بن ذى الجوشن » الموتور الحانق وذلك عندما رأى معسكر الحسين يشعلون النيران فنادي بأعلى صوت « يا حسين استعجلت النار فى الدنيا قبل يوم القيامة » فقال مسلمة بن غوسجه يا ابن رسول الله جعلت فداك لا أرميه بسهم فانه قد أمكننى وليس يسقط لى سهم • فالفاسق من أعظم الجبارين » فقال له الحسين لا ترمه فانى أكره أن أبداهم » •

وقد اشترك فى مواجهة الحسين سيوف الخلافة الاموية التى انصاعت لأوامر الجلاد ابن زياد وهم الحصين بن نمير وعمر بن سعد وشبث بن ربعى وشمر بن ذى الجوشن • ونظم السبط الكريم جيشه • وكانت أوامره المحددة لعامه جنده أن يضربوا فساطيطهم وأن يدخلوا الاطناب عن يمينهم وعن شمالهم ومن ورائهم ورجع الى مكانه• وطلب من أخيه العباس بأن يطلب من عمر بن سعد التأخير فى القتال انى غدوه لعله يصلى لربه ويدعوه ويستغفره • فقبل القائد الأموى احتسابا لكسب الوقت وترتيب الامور وانتظار النجدات التى كانت تتوالى من الولايات القريبة والبعيدة بعددها وعتادها • والحسين وأصحابه يصلون لربهم ويستغفرون ويدعون ويتضرعون ويقرأون ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين • ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » وتمر بهم خيول الأعداء وهم على

هذا الحال حتى أدنت ساعة التلاحم والقتال فى معركة غير متكافئة » حيث كانت أعداد الجيش المتحالف عشرون ألفا ما بين فارس وراجل • أما فئة الحسين وخاصته فكانوا لا يتعدون التسعين نفسا وهم ما بين رجل وامرأة وطفل ودارت رحى تلك المعركة الشرسة حتى حمل القواد الامويون • وجندهم على جماعة الحسين ومن شايعه من كل جانب وطوقوهم حتى فنى معظمهم • وكان فى طليعه القتلى من شيعه الحسين مسلم بن غوسجه وعبد الله بن عمير وهما من أقطاب هذه الموقعة ولما استشهد هذين البطلين برز شباب بنى هاشم بدورهم يدافعون عن والدهم وعمهم وابن عمهم ونسيبهم بقلوبهم وصدورهم • وكان على بن الحسين فى مقدمه من شد النكير على خصوم والده وكان فى التاسعة عشر من عمره فعل ذلك مرارا يحمل فيرتد من أمامه من شدة حملته حتى صدمه « مره بن منقذ العبدى » فطعنه فصرعه فلما رآه الحسين قال « قتل الله قوما قتلوك يا بنى ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفاء » وتتابعت قتلى بنى هاشم فسقط عبد الله بن مسلم بن عقيل وعوف بن عبد الله ابن جعفر وأخوه محمد وعبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب وأخوه جعفر • وقد وقف السبط الشجاع هو وصحبه موقفا تجلت فيه روح البسالة والاقدام • وقد ضرب بهم المثل الاعلى فى العزم النادر والقتال الذى لا تجد له مثيلا بعد أن صحت العزائم على الاستهانة بالحياة فى سبيل عزة نفوسهم فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه • فقد وقف سبعون بطلا جسورا أمام جحافل الآلاف الذين كانت تصلهم الامدادات تتوالى من جسور العراق وولايات الشام — وقد وقفوا على غدير المياه يشربون منه ويستلذون ويستعذبون أبعاد القطرات عن الحسين وفئته الذين عانوا العطش والظمأ والصبية الصغار يتلهفون على بقايا البقايا

من ماء يعز وجوده ويتمنون أن تصل أفواههم قطرات ولكن هيهات • ويلهوون من شدة العطش ولم يزد الجميع ذلك الا ايمانا وتشبيتا ويقينا وصمودا ثقة منهم بما يصيرون اليه بعد الصبر والتجلد والاحتساب من المقام الأعلى فى الفردوس المهيىء فى جنات النعيم نزلا عند الحكيم الحميد وها هو القاسم بن الحسن يبرز للقوم وبيده سيفه وهو غلام حدث فبارزه عمرو بن سعد بن نفيل • ضرب القاسم على رأسه فسقط مدرجا بدمائه الذكية وظل يتن ويدعو أن يقابل جده فى أعلى عليين • وأثناء ذلك وطئته الخيل حتى استشهد ولفظ أنفاسه وعمه الحسين يقول فوق رأسه « بعد القوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك » ثم ضمه الى صدره ونقله الى جوار ابنه على ومن قتل عمه من آهل بيته الأبرار • ولم تطو الصحائف عن بروز وجه على الأكبر ذلك البطل المغوار المسدد الطعنات من حول والده الحسين وقد هابه القوم الى أن علت صرخات ابن سعد لأحد قواده المسمى طارق بن كثير ليخرج له فيتبارزا ويتقاتلا فما هى الا هزة حسام حتى كان طارق جثة معفرة مختلطة بدماء بنى أمية وتابعيهم ، وكان ابى سعد يرمق الموقف مبتأسا هلعا ويدفع اليه المقاتل تلو المقاتل وهو على هذا الحال من الانتصار والمجالدة وعلى بطل كربلاء يصرعهم بسيفه الذى كان له أزيز وزئير الريح العاصف والأسد الهصور • فطلب القائد الأموى من الرماة أن يلقوا اليه بالسهام من البعد حتى يتخلصوا من طعناته الموفقة ومبارزته التى لا تجارى فهو سليل الحسب الرفيع فى ميادين الفروسية والنزال والاحتساب فتكاثرت عليه السهام من كل جهة من الجند القساة كأنها شآبيب الغيث • فخر البطل صريع الواجب والشهادة على أرض كربلاء وتبعه فى هذا الشرف العديد من أهل بيته وتساقطت الأجساد على ثرى ميدان المعركة

والتى صاحبتها مأساة انسانية رهيبة آخرهم بضعة عشر شابا من اهل بيت النبوة المطهر فلم يبق مع السبط الكريم الأرهط من ثلاثة أو أربعة ثم ما لبث هؤلاء أن سقطوا بين يديه وبقى وحيدا وقد أثخن بالجراح فى أجزاء متفرقة من جسده . فحمل القوم عن يمينه وشماله فهجم على الذين عن يمينه فتفرقوا ثم تداخل مع الذين عن وشماله فتفرقوا قال عبد الله بن عمر « ما رأيت مكسورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا من الحسين ولا أجرأ مقدما والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله (١) .

وبعد أن تحدد الموقف حول الحسين أمر بحبره يمنيه تنعكس عليها أشعة الشمس فتأخذ بالأبصار فشقها لكى لا تقع فى يد العدو . وقال له بعض أصحابه لو لبست تحتها تبانا — درع — فأبى وقال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغى لى أن ألبسه ثم قاتل وعليه قميص من خز وعلى رأسه عمامة وهو أحسن ما يكون استبسالا واستماتة . وهم بسيفه يقاتل ويناضل ويشق به أجساد المبارزين فى وسط أرض المعركة . وهنالك تمالا عليه عدة الغدر والخسة فانقض عليه أصحاب السيوف العطشى للدماء الذكية حيث التف حوله جند الجلاد ابن زياد وهم يبارزون ويضربون ويطعنون حتى قتل الحسين قتلة شنيعة وخر الجسد الطاهر على ثرى كربلاء ليدمغ تاريخ الأمويين بنقطة سوداء وتخضب صفحاتهم بالخذى والنكال . ويكفى الشهيد البطل أنه دافع واستمات وثبت فى أرض المعركة وحارب فى شرف وأصالة لم يعرفهما معسكر خصمه . فقد وجد بجسد هذا السبط البطل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة بسيف فى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ

---

(١) معالى السبطين ص ٧٥ .

والسبب فى كل هذه الطعنات والضربات الدامية • ان اتباع الجلاد كانوا يتحاشون قتله وكان كل حامل سيف على أرض كربلاء يتمنى أن يكون مقتل سبط الرسول على يد سواه يقول الطبرى •

ولقد مكث الحسين طويلا من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ولكن كان يتقى بعضهم بعضا ويحب أن يكفيهم هؤلاء ، الى أن نادى ابن ذى الجوشن فى الناس ويحكم ماذا تنظرون بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكن فحمل عليه من كل جانب وضربه زرعه بن شريك التميمى ضربة على عاتقه فجعل ينوء ويكبو من قسوة الألم ثم جاءه رجل فيه لوثة اسمه سنان بن أنس فطعنه بالرمح وقضى عليه وأخذ رأسه (١) •

ويقول ابن طباطبا ملخصا جانبا هاما من الموقف المأسوى :

« لقد قتل الحسين قتلة شنيعة ولقد ظهر من الصبر والاحتساب والشجاعة والورع والخبرة التامة بآداب الحرب كما كان له من أهله وأصحابه من النصر له والمواساة بالنفس وكراهية الحياة بعده والمقاتلين بين يديه عن بصيرة ما لم يشاهد مثله (٢) •

ويقول فليب حتى مركزا على حقيقة غائبة بين طيات الصراع :

كان دم الحسين أكثر أثرا من دم والده على بن أبى طالب فى تنمية روح الشيعة وازدياد اتباعها فى أنحاء العالم الاسلامى بل يصح القول بأن الحركة الشيعية ولدت فى العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ ومنذ

---

(١) تاريخ الامم والملوك حـ ٤ ص ٣٤٦ •
(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٠٧

ذلك اليوم أصبح عقد الامامة لذرية على وفاطمة بطريقة لها مدلول فى عقائد الشيعة وكان من يوم كربلاء للشيعة صيحة حرب جديدة هى « يا لثارات الحسين » وقد أثبتت الحوادث والوقائع بعد ذلك ان هذه الصيحة نفسها كانت من أهم العوامل التى قوضت بنيان الدولة الأموية (١) .

على هامش المأساة :

تعد مأساة كربلاء من وجهة نظرى نقطة سوداء تتسع وتتسع حتى تتلاشى الى جوارها معظم المنجزات التى قدمها بنو أمية فى صفحات التاريخ حيث ارتكبت الفظائع الدموية ما يندى لها الجبين وتقشر من هولها كل القلوب . صحيح ان الحسين قد استشهد فى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ الا أن الجرائم المرتكبة ضد هذا البطل قد تعدت حدود ذلك الميدان الذى جرت على ثراه أحداث تلك الموقعة . حيث احتز الطعام رأس الحسين وحملوه الى طاغيتهم عبيد الله بن زياد فى قصر الامارة وأذن للناس بالدخول وأمر باحضار الرأس المطهر بين يديه وجعل ينظر اليه ويبتسم وفى يده قضيب يضرب به ثناياه

وكان الى جانبه الرجل الصالح زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيخ كبير ، فلما رآه لا يرفع قضيبه . قال صارخا فى وجه الجبار النزق « اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذى لا اله غير غيره لقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتان الشفتين يقبلهما . ثم بكى فقال له ابن زياد ابكى الله عينيك فوالله لولا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك .

---

(١) تاريخ العرب ـ ٢ ص ٢٥٣ .

فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم (١) .

وانتهب جند ابن زياد حلل سبط المصطفى وآبله وخيله وأثقاله ومتاعه وسلبوا نساءه حتى كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها لكي يبقى معها ثم يؤخذ منها قسرا . بعد أن روى الدم الذكى أرض العراق وأهدر دماء أهل البيت ونكل بهم . ولما يمضى على وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم — خمسون سنة .

وبعد يومين من المأساة ارتحل صنيعة ابن زياد ويده الباطشة « عمر بن سعد بن أبى وقاص » الى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه فى المحامل المستورة على الابل فرأوا على بن الحسين والفضل بن الحسن وأصحابهما وأهليهما صرعى فصاح النساء حزنا وكمدا وصرخت السيدة زينب بنت على بأعلى صوت « يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتله تسفى عليها الصبا . فأبكت كل عدو وصديق » .

ونادى عمر بن سعد فى جنده بالسير السريع حيث قاد الموكب ثلاثة من أشرس الوجوه مواجهة وأقسى القلوب صما غلفا . أولهم شمر بن ذى الجوشن « ولم يكن هذا الفظ الا جلفا جاسيا كان بهيمة فى صورة آدمى قد اتهموه أنه لا يحكم من كتاب الله آيتين ولا يبالى أن يرمى السهم من قوسه حينما عن له لا يعرف حلالا ولا حراما (٢) .

---

(١) ابن الاثير الكامل حـ ٤ ص ٣٥ .

(٢) الطبرى مرجع سابق ص ٣٢٤ .

أما الثانى فهو قيس بن الأشعث بن قيس وأبوه أحد المتورطين المتهمين فى دم الامام على بن أبى طالب وأخته جعده زوجة الحسن بن على التى دست السم المنقع الذى قضى على الرجل وأنهى حياته لصالح خصومه من بنى أمية •

أما ثالثهم فهو عمرو بن حجاج المشتهر بالمروق الذى يمكن أن يبيع دينه بدنياه ان وجد بريق الذهب يلمع أمام عينيه أو طرف رنينه أدنيه • وكان أشد الناس تحريضا على قتال الحسين عندما لوحوا له بالمكافأة التى ظن أنها تتخم جعابه « وحسبه خزيا وعارا أنه كان أول من شد على أهل البيت وأنصارهم فصرع أول أنصار الحسين مسلم بن عوسجه •

وقد كانت لمسلم البطل المغوار صريع كربلاء بادرة كريمة فى الاسلام وذلك أنه كان قد قتل بيده ستة من المشركين فى حروب أذربيجان قبل أن تلتئم خيل المسلمين (١) •

أسرع هذا الموكب بالمسير صوب الكوفة وفى مقدمته ابن سعد مزهوا غرورا فقال له أحد المخلصين لآل البيت عندما رآه على هذا الحال « ويحك يا ابن سعد قتلتم ذرية رسول الله فقال الرجل عضضت بالجندل لو شهدت ما شهدناه لفعلت ما فعلنا ثارت علينا عصابة أيديها فى مقابض سيوفها كالأسود الضاربة تحطم الفرسان يمينا وشمالا وتلقى أنفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب فى المال ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية والاستيلاء على الملك ولو كففنا عنها رويدا لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها • فما كنا فاعلين لا أم لك (٢) •

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣١ •

(٢) مهدى الحايرى معالى السمطين حـ ١ ص ٢٢١ •

ولما دخل ابن سعد برأس الحسين • وصبيانه وأخواته ونسائه الأحياء على عبيد الله بن زياد « لبست زينب بنت على أرذل ثيابها وتنكرت وحف بها اماؤها فلما دخلت جلست فقال ابن زياد من هذه الجالسة ؟ ولم لا تتكلم قال ذلك ومع هذا كله ظلت صامتة فقال بعض امائها هذه زينب بنت فاطمة فقال لها ابن زياد الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم • فقالت الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهرنا تطهيرا لا كما تقول أنت انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر » • قال فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قال كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون اليه وتخاصمون •

وثارت ثائرة ابن مرجانة وقال للسيدة زينب قد أشفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة المرده من أهل بيتك فبكت ثم قالت لعمرى لقد قتلت كهلى وأبرت ــ أهلكت ــ أهلى وقطعت فرعى واجتثثت أصلى فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها عبيد الله هذه شجاعة قد لعمرى كان أبوك شاعرا شجاعا قالت السيدة زينب ما للمرأة والشجاعة • ان لى عن الشجاعة مشغلا (١) •

وفى المجلس كان هناك على زين العابدين يعانى من المرض الذى شغله عن القتال ونيل الشهادة مع بقية أهله الرجال فقال للطاغية يا ابن زياد الى كم تعرف عمتى ممن لا يعرفها فقال عبيد الله من أنت ؟ قال الصبى اليافع أنا على بن الحسين فتعجب والى العراق أليس الله قد قتل على بن الحسين ؟ فقال له قد كان لى أخ يسمى عليا قتله المردة •

---

(١) الطبرى تاريخ الامم حـ ٤ ص ٣٥٠ •

فتعجب ابن مرجانه أن يرد عليه صبى مكبول بالأغلال والأصفاد وهو على هذه الحال • لهذا الرد الفورى الموفق فقال له الطاغية بل الله هو الذى قتله فقال فرع الريحانة زين العابدين « الله يتوفى الأنفس حين موتها فلم يطق ابن مرجانه صبرا فقال له وبك جرأة لجوابى اذهبوا به فاضربوا عنقه » (١) •

ولم يكتف عبيد الله الظالم الغاشم بما ألحق الحسين وأهل بيته من بلاء ومحن وما سامهم من خطوب وتشتت بل أضرم القلوب نارا عندما فكر بعقلية الجبابرة اذ أمر صنائعه بأن تنصب راس الحسين على أنابيب مع بقية الرؤوس فى أنحاء الكوفة ثم طيف بهم فى طرقاتها ثم بعث بهذه الرؤوس بعد ذلك مع زمر بن قيس ليرسلها الىدمشق فيطرحها أمام مجلس يزيد فى قصره • ويقال أن زمرا هذا عندما دخل على ابن معاوية قال له « فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهممعفرة تصهرهم الشمس تسفى عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم •فدمعت عين يزيد وقال له قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين » • لعن الله ابن سميه • أنا والله لو أنى صاحبه ــ مقاتله ــ لعفوت عنه فرحم الله الحسين • ولميصل زمرا بشىء (٢) •

ثم أمر الخليفة الاموى برد الرأس على أخت الحسين السيدة زينب وابنه على زين العابدين اللذين قد رافقا الرأس الى دمشق فأخذاه ودفناه بها •

---

(١) معالى السبطين ج ٢ ص ٦٧ •
(٢) الشيبانى الحقائق ص ٨٠ •

وقد قيل فى هذا المقام • ان قوما من أسد قد خرجوا الى الأجساد المبرأة من كل رَيع • « فوجدوها ملقاة فى العراء بعد رحيل عمرو بن سعد • فصلوا عليها • ثم حفروا للحسين قبرا بمشهد حيث مثواه الآن بالعراق ودفنوا ابنه على بن الحسين عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله مما يلي رجل الحسين وجمعوهم فدفنوهم جميعا معا • ودفنوا العباس بن على فى موضعه الذى قتل فيه (١) •

ولما جىء بنساء الحسين وأولاده وأدخلوا على يزيد رق لحالهم• فأنزلهن فى منازله واستقبلهن النساء من آل يزيد بالبكاء وأقيمت الأحزان والمراثى على الحسين ثلاثة أيام • ثم أمر الخليفة الأموى بمسيرهم الى المدينة وكساهم وأكرمهم وأنزلهم فى ضيافة أهله وأوصى رسوله المرافق لركبهم فى مسيرهم وسفرهم بهم خيرا •

وروى عن ابن عباس أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما هذا الدم ؟ قال دم الحسين لم أزل ألتقطه من اليوم » •

وكان لمصرع الحسين رنة أسى وحزن عميق خيم على أرجاء العالم الاسلامى بعد أن اعتصرت القلوب ألما لهذا المصاب الجلل ولذلك تحرك اليراع سريعا ليسجل نفثات الصدور التى سطرتها صفحات استقطبت العديد من القصائد التى رثاه بها الشعراء بعد أن بكاه الناس بغزير الدمع لهول المصاب • فمما قالته السيدة عاتكة بنت زيد بن نفيل

---

(١) أمالى المرتضى جـ٢ ص ٧٥ •

وا حسينا فلا نسيت حسينا
أقصـــدته أسنة الأعـداء
غادره بكـــربلاء صـــريعا
لا سقى الغيث بعده كربلاء

كما وقف سليمان بن كثير الخـــزاعى من كبار دعاة الشيعة يرثى ريحانة المصطفى بهذه الأبيات التى أذاب فيها لواعج فؤاده :

ولم تران الأرض أضحت مريضة
لفقد حسين والبـــلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكى الســماء لفقده
وأنجمــه ناخت عليـــه وصلت

وأخذت دعوة الأخذ بثأر الحسين تشتد فى النفوس الى جـــوار جماعات الشعراء الذين أرسلوا الكلمات ارسالا فى القصائد العصـــماء التى تستنهض للهمم الخامدة للتحريض على القتال والخروج على بنى أمية الذى كان ابن سميه أسوأ مثال ينسب اليهم .

وفى العاشر من شهر المحرم من كل عام يخرج الشعراء وقد اتشحت عباراتهم بالسواد التى يلتقطوها من أسى المهج الحزينة فظهرت من تلك الجماعة طائفة التوابين الذى جأر شاعرهم الفحل عبد الله بن الأحمـــر حيث قال :

صحوت وقد صحوا الصبى والعواديا
وقلت لأصحابى أجيبوا المنـــاديا
وقولوا له ان قام يدعوا الى الهدى
وقيل ادعى لبيك لبيك داعيـــا

الا واتبع خير الناس جـدا ووالدا
حسينا لأهل الدين ان كنت ناعيـــا
وأضحى حسين الرماح درئيـــه
وغودر مسلوبا لدى ألطف ناديا
فيا ليتنى اذ ذاك كنت شـــهدته
فضاربت عنه الشانئين الأعاديا (١)

نقاط المـأساه فى كلمات :

ويبقى بعد ذلك أن نستخلص أبعاد تلك المأساة الدموية فيما يلى :

١ ــ ان ابن زياد الذى ورث الجبروت والرهبوت لا يستبعد أن يصدر منه أفعال لا يقوم بها الا الطغاة والجبابرة حيث تشفى من خصمه السياسى بهذه الصورة الشنيعة اذ أمر قواده بأن يوطئـوا بخيـولهم الحسين بعد استشهاده ففعلوا ذلك حتى رضوا صدره وظهره • فاستحق حكم التاريخ عليه بخلوه من معانى الانسانية والمروءة والشجاعة •

٢ ــ ان الشيعة قد رأوا بعد تلك المأساة المروعة أنهم فى حاجـة ملحة الى تنظيم أنفسهم فاجتمعت أعداد منهم وتذكروا دعواتهم للقائد الشهيد وشعروا بكثير من الندم وتأنيب الضمير يحيط بهم لأنهم خذلوه فى أحرج المواقف وتركوه طعمة لخصومه القساه ورأوا أنه لا يمحـــو خذلانهم هذا الا قتل من قتله أو من كان سببا فيه •

ج ــ ان هذه المقبحة قد أشاعت الذعر فى البلاد الاسلامية وأشعلت حماسة الفرس ودفعتهم الى كفاح الامويين فوضعوا بذلك الحجـــر

---

(١) المبرد للكامل ص ٢٠١ •

الاول في بناء الحركة الشعوبية الشهيرة التى أرقت ساحة الخـــلافة الاموية • واتفق هؤلاء جميعا على صـــــيحة جديدة تستتر وراءها ما يستبطن في النفـــــوس هي قولهم « يا لثأرات الحسين يا لثأرات الشهيد » واستغلها دعاة العباسيين لصالحهم •

د ــ أخذ شعور العداء الظاهر يأخذ طريقه الى القـــلوب فى كل الاقاليم الامر الذى جعل الناس يثورون لاوهى الاسباب خاصـــة فى المحافل والتجمعات الدينية ويؤيد هذا أن عبيد الله لمـا ارتقى المنبر بعد استشهاد الحسين وخطب خطبة مطولة قال فى مقدمتها :

« الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وحـــزبه وأقتل الكذاب بن الكذاب وشيعته » تصدى له عبيد الله بن عفيف وأخـذ يفند قوله بهذه الكلمات المملوءة حنقا والمفعمة سخطا على بنى أميـــة وولاتهم فاقل ضمن ما قال « يا عبيد الله • الـكذاب أنت وأبوك والذى ولاك وأبوه تقتل أولاد النبيين وتقوم على المنبر مقام الحسين » (١) !

هـ ــ صبغت مبادىء الشيعة بعد موقعة كربلاء بصبغة دينية بحته غلبته على الطابع السياسى فى الصراع الحزبى بين الشـــيعة وبنى أمية حتى أصبح الحسين فى نظر شـــــيعته رمزا للبطولة والشهامة فى أحلك المواقف حيث لم يستسلم أمام قسوة الحزب المناوىء •

و ــ أن هذا القائد الذي استخدمه الجلاد ابن زياد لتحقيـــق أغراضه والمسمى « عمر بن سعد بن أبى وقاص » وهو واحـــد من أولاد السابقين الأولين كيف دفعه حب المـال فى هـــذا الشـورط ؟ وهل أن

---

(١) المساجلة كلها فى الفخرى لابن طباطبا ص ١٠٩ ــ ٨

شغفه بالحياة الدنيا يجعله يتناسى وشائج الاسلام الوطيدة والاخـوة فى الله بعيدا عن زخرف زائل • ويقبض الثمن فى مقابل موقفه العدائى من الحسين بن على بن أبى طالب وفيـق والده فى النضـال والكفـاح والفروسية تحت رايات الحق ودعوة اليقين • وما هو الثمن المقبوض ؟ آن يتولى ابن سعد ادارة الرى التى كانت محط آماله الدنيوية •

ماذا يحدث لو آثرت السلامة يا ابن بطل القادسية واعتزلت الامر كما فعل الجندى البطل « الحربية بن يزيد التميمى » الذى تبـاطىء فى قتال سبط الرسول بل انحاز اليه مع أنه ليس من أولاد السابقين الأولين وقد ذكر له التاريخ المجيد هذا الموقف الشجاع ولم يغفله حقـه من التبريز فى أركان البطولة النادرة •

ز ــ ان اعتماد الحسين على شيعة الكوفة يعد من أكبر أخطائه فى حربه مع خصومه على الرغم من أن بالحجاز من هم أعظم اخلاصا وقوة من تلك الفئة التى أثبتت الأحداث السابقة توالى تخـاذلهم من أهل بيته فقد تخلو عن أبيه على وأخيه الحسن وتركوا ابن عمه مسـلم بن عقيل طعمه للجلادين حيث يروى لنا أبو الفـدا « أن عبد الله بن مطيع قال للحسين « فاياك تقرب الكوفة فانها بلدة مشئومة قتل بها أبوك وخذل أخوك ألزم الحرم فانك سيد العرب لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحدا وسوف يتداعى اليك الناس من كل جانب » (١) ولكن الحسين مع الاسف لم يقبل نصح الناصحين •

---

(١) البداية والنهاية حـ ٨ ص ١٦٠ •

القول الفصل فى موضع الرأس الشريف :

تردد الناس فى الخلط فى موضع الرأس الشريف هل هو فى مستقره الذى هو فيه بالقاهرة حيث يوجد المشهد الحسينى أم فى كربلاء ؟ وقد أشاع المغرضون بأن رأس سبط الرسول الحسنين لا وجـود له بقاهرة المعز مطلقا استنادا على ما قاله القرطبى نقلا عن الزبير بن بكار الذى عده أعلم الناس بالانساب « بأن الرأس أعيد الى الجثة بكربلاء بعـد أربعين يوما . وأضاف قوله « وما ذكر من أنه دفن بعسقلان فى المشهد المعروف بها أو بالقاهرة فهو شىء باطل لا يصح (١) .

ولكن الثابت تاريخيا والمؤيد بأسفار العلمـاء المحققين والرواه المبرزين بأن رأس سبط الرسول وريحانته مدفون بالقاهرة وانا هنـا أتتبع مأ نقله هؤلاء الثقات وفق الواقع الذى حدث من يوم أن استلمته السيدة الشريفة أخته زينب وابنه على زين العابدين اللذين رافقـا الرأس الى دمشق ثم أخذاه ودفناه فى قصبه بلاد الشام ـ دمشق ـ ثم نقلت فى عهد الفاطميين الى عسقلان بفلسطين التى استولوا عليهـا حين فتحوا بلاد الشام فلما تقلد الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيـوش بدر الجمالى الوزارة أخرج رأس الحسين من مشهده بعسقلان خـوفا من أن تقع البلدة فى يد الفرنج .

وبدأ بأن عطر الرأس وحمله على صدره وسعى به ماشيا الى أن أحله فى مقره الذى هو به بالقاهرة وتفصيل ذلك مما نقل من تلك الوثيقة التى عثر عليها بين طيات الكتب لرحالة من متجولى العرب زار القاهرة فى سنة ٥٤٨ هـ فى خلافة الفائز وهى منقولة من رحله له مخطوطه ببعض

---

(١) التذكرة ص ٢١٤ .

المكتبات الاندلسية التالدة تقول الوثيقة » وفى يوم الاحد ثامن جمادى الأخرة أصبح الناس يتأهبون لاستقبال وفد جليل وركب مقدس يقدم عليهم من نحو بلاد الشام وكانوا على اختلاف أجناسهم وطوائفهم يظهرون الأسف والحزن ويأوهون من أعماق قلوبهم •

وكانت علامات اللوعة بادية على وجوه شيعة الفاطميين وأهل مذهبهم أكثر من ظهورها فى الطوائف الأخرى التى يتألف من مجموعها سكان القاهرة كالأتراك والمغاربة والسودانيين والشاميين والعراقيين • وكانت زرافات من الناس يمشون فى الاسواق وينشدون المراثى والأشعار المحزنة • وكنت أرى بعض التجار من محبى الخير والاحسان يوزعون الصدقات على الفقراء والمعوذين وبعضهم يفرش فى حانوته خوانا من آدم ويضع عليه الطعام ثم يدعو المارة أيا كان نوعه الى الأكل عن روح سيد الشهداء الحسين رضى الله عنه •

وهناك حانوت آخر جمع فيه صاحبه الوعاظ والقراء والشعراء فكانوا يقرأون قصة مصرع الحسين ويعدون فضائله ومناقبه • وكنت أرى المتفرجين متراصين على المصاطب والدكك لا سيما الشارع الأعظم المؤدى الى الجامع الحاكمى — المعز لدين الله الآن — حيث ينتظر أن يمر الموكب المقدس من باب الفتوح وكانت أول عناية بالرأس الشريف رأس سيدنا الحسين • انما كانت من الأمير الجليل بدر الجمالى الذى قلده الخليفة المستنصر وزارتى السيف والقلم • فانه لما بلغه قتل ولده شعبان فى مدينة عسقلان احدى مدن ساحل بحر الروم — البحر المتوسط — •

وفى سنة ٤٦٠ نهض اليها وأبلغه أن بها مكانا دارسا فيه رأس

الحسين فاهتم بالأمر وشرع فى بناء مشهد فخم بعسقلان على نية أن يودع فيه الرأس الشريف » .

أما كيفية نقل الرأس من دمشق الى عسقلان فتقول الوثيقة «يغلب على الظن أن الرأس أرسلت الى دمشق مع أهل بيته بعد وقعة كربلاء بعد أن ظل الرأس مصلوبا فيها ثلاثة أيام ثم أنزل فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك فبعث اليه فجىء وفد محل وبقى عظما أبيضا فجعله فى سفط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه فى مقابر المسلمين.

فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح أن وجه الى برأس الحسين بن على وكتب اليه أن سليمان أخذه وجعله فى صفط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسودة ــ الراية العباسية ــ سألوا عن موضع الرأس الكريم فنبشوه وأخذوه حيث دفنوه فى عسقلان . وظل به الى زمن أمير الجيوش بدر الجمالى الذى مات ولم يكمل البناء الذى شرع فيه فأكمله ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل الذى تولى الوزارة بعده فان الأفضل كان قد خرج فى سنة ٤٩١ هـ الى بيت المقدس وبها بعض الأمراء الأتراك فاستخلصها منهم ثم أخرج الرأس المبارك من مكانه وعطره وحمله فى صفط على صدره وبقى به ماشيا الى أن رحله فى مقره فى المشهد بعسقلان . وهاهم اليوم يحملونه من ذلك المشهد الى القاهرة .

وقد جاءت الاخبار من عسقلان الى بعض التجار بأنهم حينما أخرجوا الرأس من مشهده وجدوا دمه لم يجف وله رائحة كرائحة المسك أما جثة الحسين فقد بقيت بعد أخذ الرأس الى دمشق مطروحة واستمرت فى الفلاه حتى دفنها أهل العاضرية وهم قوم من بنى أسد فى أرض الطف وبقيت بحيث تعرف وتزار الى زمن المتوكل العباسى فأمر

أن تسوى أرض كربلاء وتمهد وتزرع حنطـــة وشعيرا ففعلوا وبقيت الارض هكذا مدة أربع عشرة سنة حتى قتل المتوكل وخلفـــه ابنـــه المستنصر وأذن بزيارة قبور شهداء كربلاء وتاريخ نقل الرأس الى مقره بالقاهرة قد تم يوم الاحد ثامن جمادى الآخـــرة سنة ثامن وأربعين وخمسمائة من الهجرة النبوية (١) ٠

وهناك رواية أخرى مؤداها أن الذى نقـــل الرأس الشريف من عسقلان الى القاهرة هو الوزير الصالح طلائع بعد أن بنى لها مشهدها الموجود الآن « فقد ثبت أن طلائع بن رزيك الذى بنى المشهد بالقـــاهرة نقل الرأس الى المشهد بعد أن بذل فى نقلها نحو أربعين ألف دينار وخرج هو وعسكره تلقاها من خارج مصر حافيا مكشوف الرأس هو وعسكره وهو فى برنس حرير أخضر ٠ ثم وضعوه فى القبر فى موضعه على كرسى من خشب الأبانوس ومفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب (٢) ٠

ويزيد المقريزى فى خططه ما يكمل الصورة بابراز بعض التفصيلات عيان لمـــا جرى من مواقف مهمة فنوردها هنا لجدتها وتفـــردها « أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لمـــا خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه فيه ويفوز بهذا الفخار وغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى ذلك المكان وبنوه له ونقلوا الرخام اليه ٠ وذلك

---

(١) الوثيقة منشورة بنصها فى كتاب « افتضاض السهاد فى افتراض الجهاد للعلامة مجد الدين الفيروزابادى الشيرازى ص ١٠٧ ـ ١٠٩ ٠

(٢) عبد الوهاب الشعرانى ٠ كتاب التذكرة ص ٢١٥ ٠

فى خلافة ــ الفائز ــ الخليفة الفاطمى ــ وكان الذى وصل الرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضى المؤتمن ابن مسكين والأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حمل فى السرداب الى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب داهليز الخدمة • فكان كل من يدخل الخدمة يقبل القبر • وكانوا ينحرون فى يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم ويكثرون النواح والبكاء ويسبون من قتل الحسين • ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم (١)•

وقد تتابعت تأكيدات المؤرخين المسلمين المنصفين على جميع مشاربهم ومذاهبهم • بل وبلادهم بأن رأس الحسين الآن بالقاهرة بعد نقله من عسقلان وفى مقدمة هؤلاء جمهرة الأعلام وأكابر الصوفية والرواه المشهود لهم بالدقة والضبط والصدق وصحة النقل وجودة الحفظ قد أجمعوا على وجودها بمكانها العام بالروحانيات والمحوط بالبركات والنفحات دون اختلاف أو تراجع • فممن حكم فى هذه القضية ورمى فيها بسهمه الأوفع المحدث الكبير الحافظ المنذرى•والامام البحاثة مجد الدين عثمان • والقدوة الورع محمد بن يسير فضلا عن أفذاذ عصورهم الزاهرة فى الحديث والرواية والتبسيط والتحقيق • مثل القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى وجلال الدين السيوطى ونجم الدين الغيطى وأبو المواهب التونسى • وكان أسبقهم الى هذا التثبيت أعلام المؤرخين الذين جرت أقلامهم بخط الحقيقة الماثلة والقول الفصل وبالحجج الدامغة التى يتوارى من أمامهاكل تكذيب الا من بدت منه سماجة الشذوذ والخروج على الجماعة هؤلاء الذين طمس الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم وبصائرهم •

---

(١) الخطط حـ ٣ ص ١٨٥ •

فقد أجمعت كوكبة الكتاب على أن رأس الامام الشهيد الحسين قريبا من خان الخليلى فى قلب قاهرة المعز كالعلامة ابن ميسر صاحب كتاب أخبار مصر والمؤرخ الأشهر ابن اياس المصرى فى بدائع الزهور• والحجة التبت على بن أبى بكر المشهور بالسائح الهروى فى مدونته المطولة المسماه « الاشارات الى أماكن الزيارات » والمؤرخ الأديب ابن الوردى فى تاريخه المصرى أصلا ومتنا • والراوية الفحل الملك المؤيد عماد الدين فى كتابه « المختصر فى أخبار البشر » والرحالة الجغرافى ابن بطوطه فى تنقلاته ومشاهداته فى أرجاء أمصار الاسلام وقصبات الملك هنا وهناك •

وأقول لهؤلاء المنكرين المبتعدين عن الصواب أن زيارة واحدة لهذا المشهد الموفى الحق من الاجلال والتعظيم يستجمع فيه المسلم نور اليقين ويستحضر شحنات الايمان الكامل وبقسط من نبع النفحات • عندئذ يثوبون الى رشدهم وان الندم يعتريهم عندما يرتفعون بأجنحة الخفقات وتشملهم هزاته البركات وروعة النشوة التى تأخذ بالألباب • وهنا لا أطلب أكثر من أن يسألوا الله أن يغفر لهم تطاولهم على مقام آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا • وأنقل لهم ما وجد أمامى فى طى موضوع البحث من أن الامام الشيخ عبد الوهاب الشعرانى قال زرت مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الشلبى وكان يعتقد أن الرأس لم تكن بمشهدها بخان الخليلى • فقلت نزوره بالنية على تقدير صحة ذلك فقال نعم • فلما دخل مقصورته بالمشهد قلت للشيخ اجلس مراقبا بقلبك للرأس فجلس متخيلا لها فى ذهنه فحصل له ثقل رأس • فقام فرأى نقيبا مشدود الوسط قد خرج من القبر فما زال بصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال له يا رسول الله ان الشيخ شهاب الدين بن الشلبى

وعبد الوهاب الشعرانى يزوران رأس ولدك الحسين • وقال النبى صلى الله عليه وسلم تقبل الله منهما • فاستيقظ الشيخ شهاب الدين وتواجد وتضرع وقال آمنت وصدقت بأن الرأس هنا • وحكى الواقعـــة • ولم يزل يزوره حتى مات (١) •

فرضى الله عن هذا السبط الكريم وريحانته العطـرة التى ذكاها رب العالمين بالشهادة فى ميدان الواجب فى أخلد صـــــفحة ينشر بين جوانبها العبير الفواح الذى لا يفنى بتقادم الزمن • فحياه الحسين الى أن نال الحسنى عند مليك مقتدر صـــورة مشرقة تتألق بالتوقير والنبل والجلال والكفاح والنضال • والتى ما أن نسترجعها على شريط الذهن بجزئيتيه الذاكرة والحافظة حتى تهتز المهج بالوجد والأشجان وتمتزج عبرات العيون بعبر الأزمان فتحلقان بالقلوب والعقول حيث مكانه الحق الذى تبوأ مع الخالدين ومستقره الأرفع من جنات الفردوس نزلا بين يدى مولاه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وعامة من رضى الله عنهم ورضو عنه أولئك هم خير البرية •

---

(١) متن يتاب التذكره للشيخ عبد الوهاب الشعرانى ص ١٥ ٢ •